

# الدراما العربية تتخلى عن المسؤولية الاجتماعية بدافع العولمة

## منصات العرض البديلة تنقذ الدراما من الرقيب وتسقطها في ما هو أسوأ



### دراما هدفها الإثارة بلا قضايا

إلى مواضيع أخرى، لها علاقة بالكحول والسيهر والمجون والخيانة الزوجية والعلاقات الجنسية، مع الإبتعاد قدر الإمكان عن المواضيع التي لها علاقة بالسياسة والحياة اليومية التي تمس المواطن الفقير.

وتؤكد الناقدة المصرية ماجدة موريس، والتي عملت لسنوات في لجنة قراءة السيناريو بالتلفزيون المصري أن هناك أسبابا عديدة لما نلاحظه من اختلاف في الالتزام بالمسؤولية الاجتماعية لدى الأعمال التي تنتجها المنصات مقارنة بما اعتدنا على مشاهدته على شاشات التلفزيون المصري الذي بدأ إنتاجه الدرامي منذ العام 1961، وكانت لأحتة الرقابية تتضمن الكثير من البنود التي تخص العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة وخارجها وكذلك الكثير من القيود حول السلوكيات.

وتضيف "كان التلفزيون المصري حينها من أكبر الجهات الإنتاجية حتى العام 2010، وكنت إلى جانب قراء النصوص ندر كل تلك المحاذير، لكن بعد توقف الإنتاج ووجود المنصات البديلة كحل جديد لإنتاج بعيد عن الرقابة والتمتعية معا، بدأت تظهر تلك الأعمال وخاصة على منصة "شاهد"، التي لا تلتزم بلوائح الدراما المصرية أو منصة "واتش إيت" (watch it)، والتي لا يمكن محاسبتها من الرقابة أو من قبل المجلس الأعلى للإعلام بصصر".

أما الناقد علاء جابر من الكويت، فيتحدث من وجهة نظره كمدير لورشات كتابة السيناريو، فيقول "علاقة كاتب السيناريو بعمله بعد تسليمه إلى جهة الإنتاج علاقة غير متكافئة، لأن اليد العليا حينها تصبح لشركات الإنتاج التي تنازل لها الرقابة أو حتى الرقابة، وهذا الأمر ينطبق على كتّاب السيناريو المبتدئين والمعروفين على حد سواء، كما أن سلطة الرقابة تتقهقر يوميا في ظل السماوات المفتوحة التي لا تتوانى عن اختراق كل القابوهات".

ويتابع "يبقى الكاتب مثله مثل أي شخص آخر لا يملك إلا قلمه ليعبر به عن امتعاضه هنا أو اعتراضه هناك، حول أي تجاوز اجتماعي بحق كتاباته من قناة أو منصة ما، والمشكلة لن تحل بالمزيد من الرقابة التي قد لا أتوافق معها شخصيا لأنها في أحيان كثيرة، تتجاوز حدود زاوية النظر الطبيعية للعمل الفني وتدخل في النوايا أو التفسيرات أو المبالغيات".

مسبقا أن الجمهور ينجذب إلى الأعمال المليئة بالجرأة حتى لو أذعن عكس ذلك، وإن كل جيل جديد من الفنانين يسعى اليوم إلى مساحة جديدة أو سقف أعلى من الحرية، لأنه يرى أن الجيل السابق قد استنفذ هذه المساحة واستهلكها".

أما المخرج السوري مأمون البني فيعزو ذلك، إلى أن منطقة الخليج بدأت بتغيير طريقة تفكيرها مع بداية الألفية الثانية عندما ابتعدت السياسة عن الشكل الديني، فبدأت تتساهل مع بعض البنود التي كانت تفرضها سابقا بشكل غير رسمي، فسمحت بداية في الأعمال الدرامية، بوجود السجائر، ثم بالكحول، وبدأت تدريجيا تتغير، إلى أن انعكست بما يقارب 180 درجة، فاليوم على سبيل المثال، يفضل بعض المنتجين وبشكل أيضا غير رسمي، المواضيع التي تتعلق بالخيانة الزوجية.

ويضيف البني أن التغيير الذي حصل في آراء بعض الخليجيين دراميا، كان قد بدأ من اللحظة التي ابتعدت فيها الأعمال الدرامية عن التطرق إلى مواضيع يجنبها الناس والمشهدون العاديون، وخاصة في الدراما السورية التي كانت تعكس أوجاع الناس ليست فقط لدى السوريين وإنما أوجاع الناس في الوطن العربي كله.

ويتابع أنه لذلك بدأ المنتجون في تهميش مخرجي الدراما وكتّابها للتوجه

**بوصلة الدراما العربية انحرفت في وجود منصات العرض البديلة وغابت المسؤولية الاجتماعية عن أفلام بعض كتّابها**



أم أن ما يحدث اليوم هو جزء من خطة لنشر العولمة التي هدفها الأساسي قولبة العالم وإزالة الحدود بين الأقطار والمجتمعات، بهدف ترميز السلع والأفكار والقيم، وغيرها من الأمور التي تعتبر الأخطر وخاصة على الأوسر العربية؛ أم أن الأمر يتعلق بسياسة المنتجين والسباق المحموم للحصول على أكبر قدر ممكن من الجمهور المحتمل والهواي لكذا نوع من الأعمال؟

تقول السيناريست السورية رانيا البيطار المعروفة بأعمالها "بنات العيلة"، "أشواك ناعمة"، "الصندوق الأسود" وغيرها، "الحقيقة أن غالبية كتاب الدراما غابت عنهم المسؤولية الاجتماعية وليس بعضهم، والسبب في ذلك يعود إلى المنتجين الذي يطلبون من كتاب السيناريو، كتابة أعمال درامية تشابه إلى حد كبير الأعمال الدرامية التركية والتي في أغلبها تحمل الكثير من الانفتاح والتحرر، بحجة أن هذا هو الواقع ولا يمكن أن نخفي عنه".

وتتابع البيطار "الحقيقة أن هذا الاتجاه في الكتابة بات موجودا بكثرة، ما يعني أن شركات الإنتاج والمحطات الفضائية والمنصات هي السبب المباشر لهذا التوجه، كما أن إدخال المفاهيم الجديدة، والتي كانت الدراما لا تتطرق إليها، كالمساكنة على سبيل المثال، والخيانة الزوجية وتجربتها والارتباط غير الشرعي والعلاقات الحميمية المجانية، وتسهيل وتبسيط وجود العلاقات المحرمة إلى درجة تظهر فيه وكأنها من نسج البيئة العربية وثقافتها، وتجاوز بعض الحدود التي لا يمكن تجاوزها ليس فقط من قبل النساء بل وحتى الرجال في مجتمعاتنا، يوحي بأن هناك خطة غير بريئة، وربما شيطانية ولعينة، لتشويه صورة مجتمعاتنا التي كانت ركيزتها العائلة والأخلاق".

وتضيف لـ "العرب" أنه "منذ فترة تابعت على إحدى منصات العرض عملا دراميا من جزئين وهو من الأعمال الطويلة، معظم أبطاله ممثلون سوريون، وشعرت أن العمل يستخف بالمحرمات ويجعلها جزءا من الحياة والثقافة المجتمعية، حتى أن العلاقات الحميمية في العمل كانت تظهر بشكل عادي دون أي رادع، وكان الأمر فيه دلالة وإشارة على الإساءة إلى العائلة أو الأسرة السورية، ولا يمكنني أن أؤيد مقولة الجمهور عاوز كده، ربما يكون الهدف من وراء تلك الأعمال الحصول على المال بشكل أكبر، أو إن هناك خطة تتجاوز حتى مسألة الربح".

### الإفلات من الرقابة

يؤكد الدكتور وليد سيف لـ "العرب"، وهو أستاذ السيناريو في معهد السينما بالقاهرة، عكس ما قالته أصحاب البيطار، ويقول "أصحاب المنصات والمنتجون يعرفون

مالي يدفع. بدت تلك الأعمال تشكل نواة بذرة لبداية مرحلة جديدة في المجتمع العربي، يتم فيها قبول أعمال درامية عربية تحمل في مضمونها مواضيع وقصصا لم يكن يتقبلها المشاهد على الشاشة سابقا من قبل منتجي الدراما العرب، على الرغم من وجود بعض أوجهها ضمن مجتمعاته، وبدأت تشكل خطرا حقيقيا لما تحمله من تأثير وجداني وعقلي، ربما يأتي بالدرجة الثالثة بعد الأهل والمدرسة في قدرته على التأثير.

### الدراما وتشويه المجتمعات

مع تواجد منصات العرض البديلة الخاصة والمجسورة والتي لا يحكمها رقيب ولا شرط، تشجعت شركات الإنتاج وربما يطلب من أصحاب تلك المنصات، للبدء بمرحلة جديدة، من خلال إنتاج أعمال درامية تحاكي الدراما التركية وربما تتجاوزها بخطوات، دون أن تعبر أي اهتمام يذكر بمسألة المسؤولية الاجتماعية.

والمفارقة أن منصات العرض الأجنبية وأشهرها نتفليكس، والتي أخذت منها فكرة المنصات في الوطن العربي، تعرض أعمالا خبوية وخاصة في إنتاجاتها الأصلية، فتلجأ إلى الروايات العالمية وقصص المشاهير في السياسة والمجتمع، وتتعد تماما عن الإبتدال إلا في ما ندر، وصارت تلقى حضورا مكثفا وإقبالا منقطع النظير، ليس فقط في أميركا وأوروبا بل وحتى في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بحسب التقارير المنشورة عنها والمتاحة للاطلاع.

فلمماذا وكيف انحرفت بوصلة الدراما العربية إلى هذا الحد في منصات العرض البديلة، وكيف غابت المسؤولية الاجتماعية عن أفلام بعض كتّاب الدراما العرب وخاصة السوريين والمصريين منهم. وهل فعلا بدأت الدراما تستخدم نفس الآلية التي تستخدمها نظرية المسؤولية الاجتماعية، في ترميز رسائلها عبر الجمهور الداخلي ومنه إلى الجمهور الخارجي، بمعنى الانفتاح التدريجي،

بدأت العولمة منذ سنوات تؤثر على كل مناحي الحياة، ليست فقط الاقتصادية والاجتماعية، بل وحتى الثقافية والفنية، وبات مؤخرا واضحا الدور الذي تلعبه الدراما وخاصة العربية في الترويج للعولمة ونشر أفكارها عبر شتى الوسائل، وتأتي منصات العرض كداعم رئيسي لها ولأفكارها على اعتبارها منصات لا يحكمها قيد أو رقيب، فأين هي المسؤولية الاجتماعية لمنتجي الدراما، وما هو دورهم؟

### لمى طيارة

كاتبة سورية



حين بدأت الدراما المصرية والسورية، بالانتشار في الوطن العربي عبر الفضائيات المفتوحة، كانت بعض الدول في منطقة الخليج، تمتلك الحصاة الأكبر من تمويل تلك القنوات وحتى في المشاركة في إنتاج الأعمال الدرامية التي ستعرض عليها، الأمر الذي فرض بدوره قيودا أو شروطا على الدراما لتحقق أكبر قدر من القبول والانتشار.

هذه القيود أو الشروط لم تكن يوما رسمية أو صادرة بقرار، وإنما هي مجرد ورقة تحتوي على ما يقارب 15 بنداً، وقد جرى الاعتراف والتقييد بها من قبل شركات الإنتاج، وكانت بالتالي لجان الرقابة حريصة على تطبيقها، وهي شروط في معظمها مرتبطة بالمحتوى كمن لا يمكن من خلاله الخوض في المواضيع السياسية أو الأخلاقية وحتى الدينية، إلى جانب الوضعيات التي ترتبط بالملابس والمشاهد وأماكن التصوير وغيرها.

### لكل زمان دراما

الدراما السورية وبعد النجاح الكبير الذي كانت قد حققت في فترة التسعينات وبداية الألفية الثانية، وفي رغبة منها بفتح أسواق بيع وتوزيع لها ضمن القضايا العربية، كانت تلتزم بذلك الشروط التي كانت غريبة أحيانا بالنسبة إلى الكاتب وربما غير منطقية بالنسبة إلى المخرج.

### أغلب كتّاب الدراما غابت عنهم المسؤولية الاجتماعية والسبب في ذلك يعود إلى المنتجين الذين يطلبون أعمالا تدعي الجراة

فعلى سبيل المثال كان يمنع منعاً باتاً، وجود أي مشهد درامي يتضمن حضوراً للمشروبات الكحولية أو حتى السجائر في مرحلة ما، وكان يمنع تحت أي ظرف درامي، تصوير مشهد يجمع بين رجل وامرأة في غرفة واحدة، حتى ولو كان المشهد يضم زوجاً وزوجة، أو أبا وابنته وغير ذلك، إلى درجة بات من المستحب وجود شخصية ثالثة في المكان، عادة ما تكون تلك الشخصية خادمة أو أم الزوج أو أحد أفراد العائلة، كما أن مشاهد الترحيب والوداع عليها أن تتجنب كل ما له علاقة بالمعاقبة والقبيل، وأما الحديث عن الحب وإقامة العلاقات خارج مؤسسة الزواج فهو أمر ممنوع، وبالتالي مسألة الحياة الزوجية في الدراما مرفوضة نهائياً.

وكان كتّاب الدراما السوريون وحتى المصريون، يراعون تلك الشروط ويسيرونها منذ بداية الكتابة، لكي لا تقف أعمالهم كحجر عثرة في وجه بيعها وانتشارها لاحقاً، بل إنهم كانوا في بعض الأحيان يستغلونها بوضعها ثم حذفها



الأعمال السابقة كانت مرتبطة بمهوم الشعوب